قالوا: العقل زينة .. أو طينة

العقل زينه بقدرته على المصاعب وتذليلها مهما كانت شدتها ..والعقل طينة بقدرته على جلب المزيد من المتاعب والمصاعب مهما كان المرء فى غنى عنها.

والمرأة الحمقاء هى امرأة اكتمل نموها الجسدى بما احتوت عليه من صفات وملامح الأنوثة الناضجة ..ولكن ظل فكرها فى حالة ضعف، ورؤيتها وبصيرتها فى حالة عجز ..واتزانها فى حالة قصور عن النمو والنضج، مما أوجد حالة من الاندفاع والتهور واضطراب الفكر والوجدان، وعدم القدرة على إصدار الأحكام وتوجيه السلوك الوجهة السليمة.

لذا جاءت وصية رسول الله ﷺ بالتحذير من هذا الصنف غير السوى، والمشوه نفسيا، والمضطرب وجدانيا، والأهوج فكريا ..لأن نتائج الزواج بمثل تلك المرأة وخيمة العواقب ..سواء كان على الزوج نفسه أم على الأبناء أم على الأهل والأقارب والجيران.

فإن الحمقاء صحبتها بلاء وفى ولدها ضياع. وليس كل المؤمنين حكماء أسوياء فى سلوكهم وتصرفاتهم ..وليس كل الكافرين حمقى فى تعاملاتهم ..وقد قرر رسول الله ﷺ أن:

"خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا"[1].

"فالناس معادن كمعادن الذهب والفضة" والنحاس فمن كان معدنه نفيساً فى الجاهلية ظل معدنه نفيساً بعد الإسلام ..ومن كان معدنه رخيصاً فى الجاهلية (أى عقله وفكره) ظل كذلك حتى بعد إسلامه.

---

[1] الإمام أحمد ٢/٤٨٥

وقد جعل الله — عز وجل – الناس مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وبئس لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير.

الحمق سلوك باطنى لا دخل للمظهر فيه ولكن كم نرى من متحجبة جاهلة بأمر دينها ودنياها، لا ترعى حقا لزوج، ولا يسلم جيرانها من لسانها وسوء تصرفاتها.

فكم من زواج فاشل ..وبيوت قد خربت؟.. وأطفال قد ضيعت؟.. وأسر قد تهدمت؟ رغم أن الزوج والزوجة مسلمان!! كما يدل على ذلك مظهرهما الخارجى ، ولكن عقلهما الداخلى، أو عقل أحدهما، لم يكن عقلا صالحا كريما فى تصوراته وأوامره وسلوكه ..فامتزجت تصرفاته واتصفت حركاته بخفة العقل وضعف الرؤية، وقصور البصيرة، وعدم تقدير المسئولية، واضطراب فى الوجدان، وعدم قياس الأمور وفق معايير متزنة قوية يرتضيها الشرع الحنيف ..أى كان العقل أحمق فيما يصدر منه، وهيهات أن يأتى الحمق بخير!!

إن أهمية وجود العقل لدى الزوجة لهو أهم وأخطر من وجوده عند الزوج لدوام العشرة والحياة الزوجية. فكم من رجل أهوج طائش، وكم من رجل قاصر فى فكره مضطرب فى وجدانه، غدا رجلا كريما مسئولا يعرف قيمة الحياة والوقت، وصار يحسن التصرف لأن وراءه زوجة عاقلة!! الزوجة العاقلة قادرة على أن تعدل وتنظم تصرفات زوجها وذلك بحسن تدبيرها ..والزوجة الحمقاء قادرة على أن تحيل حكمة الرجل وعقله إلى جنون!! الرجل قادر على أن يثير الزوابع فى البيت، ولكن المرأة وحدها هى القادرة على أن تسكن ثورة الزوج، وتهدئه، وأن تجعل نسيم الهدوء والألفة والراحة والاستقرار الأسرى يهب من جديد!! إن تأثير المرأة على الأبناء يفوق تأثير الآباء لكثرة ملازمة الأم لوليدها، ولشدة تعلق الصغار بأمهم، وكلما حظى الأبناء بأم عاقلة كانوا أبناء أسوياء عظماء يشار إليهم بالبنان فى أى موقع عمل،والفضل لا يعود إلى ملكاتهم الشخصية فحسب بل يعود فى المقام الأول لحسن رعاية وتوجيه أمهم، حتى

ولو كان أبوهم غير سوى فى تصرفاته، فهى قادرة على جعلهم يحترمونه كأب، ويستهجنون سلوكه كفرد، وتقدر على إنقاذهم من براثن فساده ..ولكن قلما ينجح الآباء فى مثل هذا الموقف إن كانت الأم حمقاء أو هى نتاج مستنقع للفساد!!

قال رسول الله ﷺ : "**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**"[1].

وقال: "**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله**" (رواه ابن ماجه).

المرأة الحمقاء هى امرأة إنْ أمرها زوجها خالفته، وإن نظر إليها غمَّته، بعبوس وجهها، وسوء منظرها، وعدم اهتمامها بإبراز جمالها له ..وإنْ أقسم عليها أحنثته، أى جعلته يحنث فى يمينه فهى تقسم كما يقسم، ولكن على أنها لن تفعل ما يريد وإنْ غاب عنها أحرجته (بما تفعله من تصرف طائش تجاه ماله أو نفسها أو بيتها.

ومن صفات المرأة الحمقاء أنها تنبهر بسهولة ما تراه عيناها ..وتحب وتكره وتقبل وترفض دون معرفة لأسباب القبول أو الرفض فهى هوائية التفكير ..تبتسم وتعبس فى وجه زوجها أو الجيران أو الضيوف دونما سبب ظاهر ..غير متزنة فى وجدانها تفرح وتبكى لأتفه الأسباب ..غير متسقة فى سلوكها ..قد تندفع إلى تصرف لا تحمد عقباه وفقا لانفعالها ..ليس لديها خبرة كافية عن الحياة وليس عندها منهج فكرى معين تلتزم به ..لا تعرف كيف تحتاط من الأعداء المعلنين ولا الأعداء الأخفياء ..شديدة التقبل للايحاء وتصديق ما يقال ..كثيرة الظنون ..تجلب المصائب والهموم ..من وافقها على هواها أحبته وصار صديقا لها ..ومن عارضها فى آرائها أبغضته وصار عدوا لها ..قد تحطم كل

---

[1] الكنز الثمين / ١٧٩٤

شئ يعوق رغباتها مهما عظم ثمنه وكبرت قيمتـه ..قـد تقـدم علـى هـدم بيتـها وتحطيم حياتـها بطلبـها الطـلاق وإصرارهـا عليـه، ولـو كـان لأوهـى الأسـباب وأضعف الحجج ..فإذا نفذ زوجـها رغبتـها .. صرخـت وبكـت وارتمـت علـى الأرض وأصيبت بانهيار عصبى!!

الوشاية إليها تحقق الأهداف المرجوة منها، فـإن قيـل لهـا زوجـك سـيتزوج بامرأة أخيه المتوفى صدَّقت، وأقـامت الدنيـا ولم تقعدهـا حتـى يقطـع زوجـها علاقته بأبناء أخيه الميت!!

سريعة التفكير والإدلاء بالآراء والمقترحات فى أعمال زوجها ومشاريعه، فإذا ما أخذ برأيها وسار خلف عقلها، أتت النتائج بعكـس مـا توقـع لهـا، وغـدت الأرباح خسائر ..لأنها لا تملك البصيرة، ولا تعرف الحكمة، ولم تتعود التفكـير المستنير القائم على دراسة البواعث والأسباب، والنتـائج المترتبـة علـى الأفعـال ..لأن كثرة التفكير تحدث لها صداعا بالرأس!!

هى فى بيتها كالربان الذى لا يعرف الملاحة ولا اتجاه الريح وسرعتها ..ولا كيف يقود دفـة السـفينة ولا كيـف يتعـامل مـع الملاحـين ..ولا كيـف يجنـب السفينة وركابها أخطار الارتطام بالصخور أو بالسفن التى تجاورها، فتسير فـى مسارها الصحيح دون أخطاء.

هى مصدر للقلق والعناء فى البيـت ..تصـرخ كمـا يصـرخ الأطفـال لتسـكتهم ..وتبكى إذا بكى الأطفال بعد أن تضربهم، وتضحك حـين يضحكـون، وكأنـها طفلة أضيفت إلى الأطفال، فلا ينعم زوجها بنوم القيلولة والنوم فى المساء.

تشترى أحيانا مالا تحتاج إليه، وتستدين من أجـل اقتنائـه؛ لأن صاحبتـها قد أشارت عليها بذلك.

وصدق هذا الأب الحكيم الذى أوصى ولده أن يحذر نكاح المـرأة الورهـاء أى الحمقاء لأنها "ذات الدلل فى غير موضعها (أى تدلل نفسها دون مراعاة للوقت

والعمر) الماضغة لسانها ..الآخذة فى غير شـأنها .. قـد قنعـت بحبـه ورضيـت بكسبه ..تأكل كالحمار الراتـع ..وتنتشـر الشـمس ولم يسـمع لهـا صـوت ..ولم يكنس لها بيت ..طعامها بائت ..وإناؤها وضر وعجينها حامض ..وماؤها فـاتر (غير مبرد) متاعها مزروع (لا ينقـل ولا يحمـل)، ماعونـها ممنـوع (لا تمـد يـد العون لغيرها)، خادمها مضروب (بغير سبب) وجارها محروب"!!

إن العقل السليم يمكن تحسينه، والنشـاط يمكـن اكتسـابه، والصحـة يمكـن تأمينها بالنسبة إلى الذين يرغبون فى الاهتمام بذلك ..أمـا العقـل الأحمـق فـهو يرفض كـل ذلـك ..إن التصرفـات الحمقـاء مـا هـى إلا ثمـرة انعـدام الخـبرة أو الاسـتخدام السـيئ للخـبرة .. لا فـائدة مـن التحـدث عـن تغيـير العقليـة غـير المسئولة، لأن صاحبتها لن تصغى إلى كلمات الخبرة والحكمـة، ولا شـئ يمكـن أن يقدم لامرئ ترك كل الفرص تمـر بـه دون أن يقتنصـها ..ولـن تُصلـح قـراءة الكتب عقلا عاجزا عن التفكير المستنير ..ففى ذلك إهدار الوقـت وضيـاع لقيمـة النصائح..

وصـدق الله تـعالى إذ يـقول: ﴿وَمَن كَـانَ فِـي هَـذِهِ أَعْمَـى فَـهُوَ فِـي الآخِـرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1] ..

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُـوبٌ يَعْقِلُـونَ بـهَا أَوْ آذَانٌ يَسْـمَعُونَ بهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور﴾[2].

وقد يقنع الزوج بزوجته الحمقاء ليس لأنها أرجح النسـاء عقـلا، بـل لأنـها أقل من غيرها غباء أو سوءا فى التقدير والتصرف.

كم من أبناء حصدوا الندامة ولم يعرفوا طريـق السـلامة نتيجـة سـوء اختيـار وإرشاد أمهاتهم !! كم من ابنة كانت ضحية تشجيع أحمق من أم غـير عاقلـة

---

[1] الإسراء / ٧٢

[2] الحج /٤٦

رحبت بزوج لا يملك من الرجولة إلا المظهر، ولا يعرف الحـلال والحـرام فيمـا يجلبه من أموال، كم من أم خدعتها مظاهر براقة كاذبة خادعة استعملها ذئـب من البشر، أحضر شبكة من الذهب غالية الثمن وهديـة لأم العـروس، واسـتباح لنفسه دخول البيت والخروج منه فى أى وقت يشـاء، وكـان دائـم الابتسـامة، معسول الكلمات، ولم تمانع الأم فى أن ينفرد هذا الذئب بابنتها خـارج البيـت وداخله ..بل شجعتها على ذلك لتأخذ المزيد والمزيد، ولم يكن هناك من حصاد إلا الخزى والدنس للعرض والشرف ..ولم يشاهدوا وجه العريس بعد ذلك!!

كم من زوج يتجرع المرارة والأسى حين أطاع نصيحـة أمـه الحمقـاء، وتـزوج بمن أشارت إليها وحفزته لنكاحها؛ لأن راتبـها الشـهرى كبـير وسـتعاونه فـى تجهيز الشقة ومصاعب الحياة وأصدرت حكمها بأنها صالحة وجميلة المظهر..

إن تداخل الأمـور ..وإظـلام الـرؤى ..وتشـعب الـدروب ..وضعـف البصـيرة ..وغياب الوعى ..وعدم نضج الفكر ..والجهل بطبائع الناس وسـلوكهم سـيدفع دوما المرء إلى الصعود بفضل تلك النصائح الحمقاء ولكنه للأسف الشـديد صعـود إلى الهاوية!!